

القيم الخُلقية في الشعر العربي المعاصر بمدينة بَدَا، ولاية نيجرا، نيجيريا، في القرن العشرين: دراسة أدبية

Dr. Abubakar Yusuf Abdullahi El-Lokozy Nuhu Abarigi Ismail
Department of Arabic and Islamic Studies & Department of Linguistics and
Kogi State University, Ayingba African Languages, University of Abuja

مستخلص

فالغرض المهم في إلقاء هذه المقالة التي بعنوان: "دراسة أدبية تحليلية للقيم الخُلقية في الشعر العربي النيجيري المعاصر بمدينة بَدَا، ولاية نيجر، نيجيريا، في القرن العشرين" من حيث ذكر الباحث بعض القيم الخُلقية في الشعر العربي بمدينة بَدَا، ولاية نيجر، نيجيريا، وبعض مساهمات علمائهم وأدبائهم في أشعار الأدب العربي النيجيري عامة وفي مدينة بَدَا خاصة، وتخصصاتهم في مختلف المجالات العلمية والأدبية وخاصةً، في المدائح النبوية مع ذكر بعض شمائل الرسول ﷺ في أشعارهم المختلفة، وبعضهم في الرثاء، والوصف، والتَّوَسُّل والاستِغَاثَة وغيرها من القيم الخُلقية في أشعارهم. وسوف تُلقَى هذه المقالة ضوءًا كبيرًا بجانب موقف الشعر ووظيفته على وجه العموم ثم بيانا وافيا حول تطور اللغة العربية بمدينة بَدَا، والشعر العربي فيها منذ انبلاج سُرجها واندباجها. ثم الاتِّجَاهَات الخُلقية في البيئة البدوية الاجتماعيّة ثم السياسية على وجه العموم والخصوص في مدينة بَدَا، ولاية نيجر، نيجيريا.

مقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وأصحابه ومن والاه. فالأدب، كما يقال: مرآة شفافة لنفسية الأديب المنتج له، وصدىٍّ للمجتمع الذي هو يعبر عنه. وقيل: هولسان الشعب الذي يتعنى في أفراحه، وعينه التي تدمع في أحزانها كما كان المديح من أقدم أغراض الشعر العربي، ومن العصر الجاهلي كان الشعراء يمدحون الكرماء في قبائلهم، وكذلك مدحوا أعيان قومهم في أشعارهم، وسجلوا أعمالهم الحسنة في دواوينهم، وقد مدح بعضهم الخلفاء والأمراء والملوك والعلماء، طمعاً في أموالهم إلى فجر صدر الإسلام ببعثة النبي ﷺ، وهناك جانب آخر يخص الشعر؛ فإن عددا كبيرا من الشعراء مدحوا النبي الأعظم ﷺ في أشعارهم بأنواع وموازين مختلفة

وسوف تندرج هذه المقالة على:

القيم الخُلقية في الشعر العربي في مَدِينة بَدَا – نيجيريا.

والشعر العربي في مدينة بدا⁽¹⁾ قدمر عليه قرن ونصف، أو تقريبا قرن واحد لكنه في الآونة الأخيرة يشهد ثورة هائلة، وكيف لا، إذ تعج⁽²⁾ المدينة بشعراء شبان، تجود قرائحهم بقصائد من عيون الشعر، وإنك تجد ذلك في شتى الأغراض المختلفة من المدائح النبوية وطوراً، مدح الشيوخ الأجلأ⁽³⁾، والرثاء، والوصف، والفخر، والتوسل، والتصوف، والتعليم، واستغاثة وغيرها، بشكل لم يسبق له من قبل مثيل، كما يقال في المثال:

إِذَا سَبَقَ الْأَسْبِقُونَ الْقُدَامَى وَالْفَضْلُ كَانَ لَهُمُ الْأَوَّلُونَ⁽⁴⁾

فالغرض المهمُّ في إلقاء هذه المقالة، نظرة عامة إلى: القيم الخُلقية، ومدى التزام الشعراء المعاصرين في بلاد توبي عامة، ومدينة بَدَا خاصّة في أشعارهم، وأثر ذلك في رفع المستوى الخُلقي في مجتمعٍ بَدَا خاصّة، وكذا في المجتمع النيجيري بوجه عام.

موقف الشعر ووظيفته على وجه العموم:

أريد في هذا المجال توضيحات خاصة وعامة حول وظيفة الشعر لدى أدبائه في أزمنة مختلفة، وأرائهم المتبددة و كيف يراه كل منهم⁽⁵⁾ منذ أزمنة طويلة؛ فإن العلماء لم يتفقوا على تحديد وظيفة الشعر وغاياته.

لقد جعل (أفلاطون) غايته تقويم السلوك، وتوجيهه إلى الخير والحق والجمال؛ فربط وظيفته بمشكلات الإنسان الأخلاقية والاجتماعية، وأخذ يفتش عن المبادئ التربوية في الشعر من خلال قضية المحكاة⁽⁶⁾.

فهذه هيالمنظرة (الأفلاطونية) تُمثل الموقف السائد إلى اليونان القديمة التي ترى ضرورة إرتباط الأدب بقيمته -المتعة والمنفعة، فهكذا...ولما جاء الشاعر (الرُّومانيهوراسي) حدد رسالة الشعر وغاياته في الإفادة والإمتاع. فالشعر يثير اللذة، ويشرح عبر الحياة في آنٍ واحدٍ، وهو يعلم من خلال المتعة، والمنفعة لا تتحققاً إلا بإثارة العواطف.ويبدو أن النقاد العرب القدماء لم يكونوا صريحين في ربط وظيفة الأدب بالمتعة صراحة (أفلاطون وهوارس)؛ فقد انصببت جل تعريفاتهم للشعر على الإطار الخارجي، واهتموا بالجانب الفني أكثر من الجانب الغائي.

فالشعر عند (قدامة بن جعفر)⁽⁷⁾: قول موزون مقفي، يدل على معنى وعند الحاتمي: اللفظ والمعنى والوزن والتقنيّة، وعند (الباقلائي): الكلام القائم على الأعاريض المصورة المألوفة⁽⁸⁾.

فالنظيرة المتأنسة في آراء بعضهم الآخرين تجلى الصورة أمامنا أكثر؛ فمثلا: ربط (قدامة بن جعفر) مهمة الشعر بغاية أخلاقية، فالفضائل عنده هي: العقل، والشجاعة، والعدل، والعفة، والمادح بهذه الخصال أو ببعضها مصيب، والمادح يغيرها مخطئ⁽⁹⁾، وألح (بن طباطبا) على مبدأ الصدق في الشعر، مما يعمق نظرتة الأخلاقية في الأدب ونقده.

وأوضح أن القرآن الكريم لم يعب الشعر من ناحية قوة التصور، إذ أن هذه القوة هي مقياس بلاغة الكلام التي بلغ القرآن الكريم فيها قمة الإعجاز، ولذلك كان كثيرا ما يستشهد شراح هذا الإعجاز على قوة التصوير العامة بكلام البلغاء من ناثرين وشعراء، كما لا يستطاع إنكار قيمة موسيقى الأداء في الكلام وانها تعين على قوة هذا التصوير في النثر والنظم معا، مما تنبه إلى بعضه نقاد العرب القدامى أنفسهم وذكر منه أبو هلال ماسماه: ازدواج في النثر، وقسمه إلى ماهو متعادل الأجزاء في الطول متقاربها، مثل من القرآن الكريم بهاتين الآيتين: (وأنه هو أضحك وأبكى، وأنه هو أمات وأحيا) سورة النجم 43- 44 وقوله: (يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الأرض ...) سورة البقرة: 267.

وإنما الذي ينكره القرآن على الشعر هو الذي ينافي صدق الأداء وهذا متصل بمفهوم الشعر في عصر الرسول نفسه. وذلك أن شعراء العرب في بادئ الأمر كانوا لا يتكسبون بالشعر، وكان الشاعر في الجاهلية – كما يذكر الجاحظ ومن تابعه من النقاد – أرفع منزلة من الخطيب، لحاجتهم إلى الشعر في تخليد المآثر وحماية العشيرة، «فلما تكسبوا بالشعر صارت الخطابة فوقه» ودامت هذه المكانة للشعر عند المسلمين مازكر بفضيلة أوحث على خير. فكان عمر بن الخطاب لا يكاد يعرض له أمر إلا أنشد بيت شعر، وأوصى عبد الملك بن مروان مؤدب ولده بقوله: «وعلمهم الشعر يمجدوا وينجدوا».

ويقول معاوية لابنه: «يا بني ارو الشعر وتخلق به، فلقد هممت يوم صفين بالفرار مرات؛ فما ردني عن ذلك إلا قول ابن الاطنابة:

أَبْتُ لِي هِمَّتِي وَأَبَى بِلَانِي وَأَخَذَى الْحَمْدُ بِالْثَمَنِ الرِّبِيحِ

وَإِقْدَامِي عَلَى الْمَكْرُوهِ نَفْسِي وَضَرَبِي هَامَةَ الْبَطْلِ الْمُشِيحِ

لَأُدْفَعَ عَنْ مَكَارِمِ صَالِحَاتٍ وَأُخَيَّ بَعْدُ عَنْ عَرَضٍ صَحِيحِ

فكانت مهمة الشعر هي تسجيل المحامد، وتصوير آيات البطولة الخلقية، لتجد سبيلها إلى النفوس، ثم الدفاع عن القبيلة⁽¹⁰⁾. ومن ناحية تسجيل الفضائل السائدة تشبه رسالة الشعر العربي نظيرتها في الشعر اليوناني، إذا كان

الناس يستشهدون للخلق السائد وآيات البطولة من كلام هو ميروس كما كان (أفلاطون) يشيد برسالة الشعر الصادق في تمجيد الألوهية والفضيلة، وعلى هذا النحو لا سواء يجب أن نفهم بيت أبي تمام إذا أردنا أن نصوب معناه، حين يقول:

وَلَوْلَا أُمُورُ سِئْهَا الشَّعْرُ مَا دَرَى بِنَاةِ الْعُلَا مِنْ أَيْنَ تَوَتَّى الْمَكَارِمَ.

وأول ما عُرف من مكانة الشعر منذ الجاهلية هو التكسب به. ولم تكن العرب في القديم تفعل ذلك ولكن ربما نظم أحدهم في الشكر على صنعة أسديت من قبل إليه، إعظاما لها، لأنه لا يستطيع أداء حقها، وهذا لا ينافي الصدق في حال من حالاته. ولعل خير ما يمثل به لذلك قول رجل من بني عبد الله بن غطفان، وكان قد جاور في طى وهو خائف:

جَزَا اللَّهُ خَيْرًا طَيِّبًا مِنْ عَشِيرَةٍ وَمِنْ صَاحِبٍ تَلْقَاهُمْ كُلَّ مَجْمَعٍ

هُمْ خَلَطُونِي بِالنُّفُوسِ وَدَافَعُوا وَرَأَى بَرْكُنْ ذِي مَنَاقِبٍ مَدْفَعٍ

وَقَالُوا: تَعْلَمُ أَنْ مَالَكَ إِنْ يُصَبِّ نُفِدَكَ، وَإِنْ تُحْبِسَن نَزْرُكَ وَنُشْفَعِ

حتى جاء النابغة الذبياني، وقبل الصلة على الشعر، وخضع للنعمان ابن المنذر، ثم جاء الأعشى فجعل الشعر متجرا يتجر به، ومن هنا نزلت مكانة الشعر، وهان، لأنه نافي الصدق. على أن من المادحين مَنْ مَال إلى تحرى الصدق، واتخذ له مذهبا، دافع فيه عما يعتقد، ومن هنا استصوب الرسول عليه الصلاة والسلام شعر حسان الذي يقول:

وَإِنْ أَشْعَرَ بَيْتٍ أَنْتَ قَائِلُهُ بَيْتٌ يُقَالُ إِذَا أَنْشَدْتَهُ صَدَقَا

وَإِنَّمَا السَّعْرُ لُبُّ الْمَرْءِ، يَعْزِضُهُ عَلَى الْمَجَالِسِ إِنْ صِدَقَا وَإِنْ كَذَبَا

ولكن أكثر الشعراء والنقاد القدامى ساروا على غير هذا النهج، ففصلوا بين الشعر والصدق، دون أن يفصلوا القول في معنى الصدق، فلم يفرقوا بين صدق الأداء والصدق الواقعي، وصدق التصوير، أى الصدق الفني. ورأى جمهورهم أن الشاعر لا يطالب بصدق ولا هدف ولا بشئ مما يفرضه الدين و ((أن الدين بمعزل عن الشعر)).. وهذا إنكار لقيمة الصدق في الشعر بمعنى الصدق الخلقى على أوسع نطاق⁽¹¹⁾.

مدينة بَدَا والشعر العربي:

لقد تواترت أقوال المؤرخين بأن مدينة بَدَا هي عاصمة بلاد توبيتقريباً قرنين ماضين ما بين: 1500 – 1800 على منطلقه شعبها⁽¹²⁾.

فأما كلمة نُوفي: Nupe أصلها: توبي منسوبة إلى قبيلة: (النوبة) التي كانت موطنها الأعلى مصر العليا.

فالآخرون قالوا: وإنما هي كلمة بمعناها أخرى: (أَيُّ نُنُونٍ)⁽¹³⁾، بمعنى: [السيف المصون الباتر أو: السيف الشفار]، كثير القطع للحم، وبمعنى إنجليزية: (Sharp Sword). وبمعنى أخرى: من يسكنون مصر الجنوبية، وقيل⁽¹⁴⁾: أن شعب توبيفي مصر يشبه شعب التوبي في شمال نيجريا في نواحي متعددة منها:

1- اللهجات 2- والعادات والتقاليد 3- والتشابه في

المعتقدات.

فاللهجة التي يتخاطبون بها؛ نوبة مصر، ولهم لهجات محلية، عليها ينشئون وبها يتخاطبون، وتوبي المصريون الذين يدينون بالشريعة الإسلامية هم الذين رحلوا من أعالي مصر، وسكنوا هذا البلاد من قديم الزمان،⁽¹⁵⁾ كما عُرفوا بالرحلات والتجارة بالبيع والشراء والغزب وغيرها من أنواع المعيشة⁽¹⁵⁾. ولقد وجدت مدينة (بَدَا) الدعوة و الثقافة الإسلامية وطريقها إلى قلوب أبناء شعب (نُوفي) Nupe فيأوائل القرن السادس عشر عن طريق الطوائف المذكورة عن التجار وللعلماء ثم عن طريق الصوفيّين⁽¹⁶⁾.

يقول الإمام القاضي فاروق المرحوم في كتابة: (الشعر العربي في إمارات نُوبي، نيجريا)^[2007م] أن أمير (توبي جبريل، كان أول أمير مسلم، جاهد في نشر الدين الإسلامي بطريق سُلي، ولكن يوجد في كتاب أديان نُوفي قبل ظهور الإسلام أخبار تدل على جبريل هذا ليس بأول أمير مسلم بل سبقه بعضاًمراء المسلمين قبل ظهور الإسلام، ومن ذلك هناك: أمير والدجبريل حكم من – (1679-1800م) وغيرهم. إلى أن اندمجت علاقة (توبي) بالخلافة العثمانية في صَكوُتو (Sokoto) في سنة:- 1899م، وبعض المؤرخين ينسبون أول دخول الإسلام إلى بلادتوبي إلى الخلافة العثمانية؛ التي بدأت فيبداية القرن التاسع عشر الميلادي.

وقال بعضهم⁽¹⁷⁾: دخل الإسلام فيها في أوائل القرن التاسع الميلادي، وقال بعضهم: وقع ذلك خلال القرنين السادس والسابع الميلاديين إلى ظهور الشيخ عثمان بن فودي، كما كان جهاده في بداية القرن التاسع عشر الميلادي! إلى أن انتشرت إماراتها في بلاد نُوبي ومنها لَافِيَاغِي (Lafiagi) التي كانت حالياً تحت، ولاية كَوَارَا: (Kwara) وأغي: (Agai) ولَافِي:

(Lapai) تحت ولاية نيجا، وفَاتِغِي: (Fatigi) وغيرها. فظلت هذه الإمارات تحت حكم النوبويين، ويرى بعض. أن الأسباب الرئيسية التي حركت قبيلة توبي إلى التمسك بالإسلام تعود إلى شيئين: الإخلاص والأمان، وبعيداً من الاستعباد والأستبداد⁽¹⁸⁾.

ومنها، طلب الاسترشاد بعد الاعتناق بدين الإسلام، وتعليم الدين، ومعرفة قراءة القرآن الكريم. إلى أن دخل فيها تعليم اللغة العربية ودراستها، سنة: 1809 في عهد الأمير عبد الله، الذي كان أميراً لهذا الشعب في ذلك الزمن أو الفترة ما بين: 736-1809م⁽¹⁹⁾

وأول قصيدة سجلها التاريخ هي مأنسبت إلى الشيخ محمد وزير بدا حيث يقول⁽²⁰⁾.

يَقُولُ رَاجِي رَحْمَةَ الْقَدِيرِ مُحَمَّدٍ الْمَشْهُورِ بِالْوَزِيرِ

الْحَمْدُ لَكَ الْجَلِيلُ الصَّمْدُ وَصَلَوَاتُهُ عَلَى مُحَمَّدٍ

وبعد ذَافْهَآكَ نَظْمًا وَافِي بِالْبَابِ الْأَوَّلِ مِنَ الْإِسْعَافِ⁽²¹⁾

وتوالت هذه الجهود حتى أواسط القرن العشرين، حيث بدأت النهضة الإسلامية، واشترك فيها الشيوخ والشباب الراغبين في مجال الأدب العربي والعلم الديني، أمثال المرحوم: الشيخ عبد القادر علي الأغوي النفاوي، والشيخ آدم راجي، وكأمثال الشيخ يوسف عبد الله عبد الله النفاوي، الذي كانت له الإنتاجة الأدبية والثقافية، والشيخ أويس البدوي، والشيخ عبد الله طثوا، والشيخ أحمد مكولاً، وغيرهم. واليوم يوجد في مدينة بدا ما يقارب خمسين شاعراً شَبَانًا، تفاوت مواهبهم الشعرية الأدبية، وقدراتهم الإبداعية، ويحيون المناسبات الدينيّة والاجتماعية، بإنتاجاتهم العلمية الأدبية.

اتجاهات الشعر الخُلُقِيّ في البيئَةِ البدويّة:

وفي هذه الظاهرة، يتجه الشعر الخُلُقِيّ عند شعراء، منطقة بدا: (Bidda) اتجاهات كثيرة؛ فاهمها:

الاتجاه الاجتماعي، والاتجاه الديني، والاتجاه السياسي، والاتجاه الإنساني، والاتجاه الحماسي، وفي السطور التالية نحاول إلقاء الضوء على هذه الاتجاهات كما تلي:

أولاً:

"الاتجاه الاجتماعي"،

ولعل الاتجاه الاجتماعي أكثر اتجاهات الشعر الخُلقي في مدينة بدا: كما تتوفر فيها: أدباء أجلاء، ويكون ذلك بتعداد مناقب أحد أفراد المجتمع، ونداء الآخرين إلى الحذو حذوه، وحينئذٍ يأتي ذلك الأثر في معرض المدح، والتهنئة، والثناء، وغيرها، وقد يكون بعرض سَوءات المجتمع والتنفير عنها، أو عرض المشكلات الاجتماعية واقتراح الحلول. لها⁽²²⁾.

ومثال ذكرِ المناقب في معرض المدح قول الشيخ محمد عيسى كُتَيْغِي: (Kutigi) الذي كان مسكنه حالياً في مدينة (منا)، ولاية نيجرا، مادحاه جناب الرسول ﷺ فقال:

صَلَاةٌ وَتَسْلِيمٌ عَلَى طَهْرٍ أَحْمَدٍ مُحَمَّدٍ خَيْرِ الْخَلْقِ خَيْرٍ مَنْ أَرْسَلَا

صَلَاةٌ وَتَسْلِيمٌ عَلَى الْأَحْمَدَا جَمِيعاً كَذَا وَالصَّحْبِ خَيْرٍ مَنْ أَرْسَلَا

صَلَاةٌ مِنَ اللَّهِ الْكَرِيمِ الْخَالِقِ عَلَى خَيْرِ خَلْقِ اللَّهِ خَيْرٍ مَنْ أَرْسَلَا

أَحْبَرُ سَوْلاً لِلْهَطِّ مُحَمَّدًا حَبِيبُ إِلَهِ الْعَرْشِ خَيْرٍ مَنْ أَرْسَلَا

وَقَدْ خُزْتُ أَسْرَارَ الْمَحَبِّ مُحَمَّدٍ بِنَظْمِي هَذَا الشَّيْخِ خَيْرُهُامَ مَنْ عَلَا

وَإِنِّي أَحِبُّ الْمُصْطَفِي قَطُّ لَأَمِرًا يُخَوِّفُنِي ذَنْبِي الْكَثِيرُ وَلَا كَسَلًا

تَرَكْتُ فِعَالِ الْمُصْطَفِي نَهْجَهُ الَّذِي بِهَفَاقًا خَيْرًا بِصَحْبِهِ مَنْ أَرْسَلَا

وَدِدْتُ دَوَامَ الْخَدَمِ مَنْ كَانَا فَضْلًا وَرَبِّي عَلِيمٌ نَاصِرٌ لِي فَأَعْلَا⁽²³⁾

فالممدوح عنده هو الإنسان الكامل، وقدوة حسنة للأمة، وأنه ﷺ خير خلق الله طراً بحسناً أخلاقه التي يلتزم كل مسلم أن يتخلق به في جميع حركاته وسكناته.

فالممدوح عنده أيضاً، إنسان مثالي، ليس فقط لسخائه العميم كما عرف بذلك منذ صغره ﷺ، وأكد بذلك قول الشيخ إبراهيم إنياس رضي الله عنه في ديوانه سير القلب حيث يقول:

بَشِيرٌ نَذِيرٌ مُقْسَطٌ وَهُوَ قَاسِمٌ جَوَادٌ كَرِيمٌ بَاسِطُ الْكَفِّ مُنْعَمَا

مَقْفِي أَمِينٌ وَهُوَ فِي الرُّسْلِ مُجْتَبَى حَبِيبُ إِلَهِ الْعَرْشِ بَدَأُ وَمَخْتَمَا⁽²⁴⁾.

فهو ﷺ حريٌّ بأن يقتدى به في كل حال من الأحوال، وقد أشار القرآن الكريم بذلك حيث أمر الرسول نفسه بأن يقتدى بأثار الأنبياء والمرسلين، الذين أتوا قبله ثم أخبره ليقتدى بهم وأخلاقهم المحمودة.

ومثال ما جاء في معرض قصيدة الشيخ محمد عيسى كُتِبِي، يمدح شيخه وأولاد شيخه، الشيخ أبوبكر جوتا حين زيارته إليها فقال:

وَمَنْ قَدْ أَرَادَ أَنْ يَرَى الشَّيْخَ بَرَّهَمًا لِيَذْهَبَ إِلَى جَوْتِ مَيَاكِ لِعِلْمَا
سَرَى سِرُّهُ فِي جَسَدِهِ وَرَوَاعِيهِ وَقَامَ مَقَامَ الْغَوْثِ بَرَّهَمًا
وَمَجْلِسُهُمْ جِلْسُ الْعِلْمِ وَالْهَدَى وَلَا فِيهِ الْغَيْبَةُ وَالنَّمِيمَةُ عُرِفَا
بُشْرَى لَنَا مَعْشَرَ الْأَتْبَاعِ إِنْ لَنَا مِنْ الْعَيْنَايَةِ زُكْنًا غَيْرُ مَنْهَدَمَا
وَقَدْ بَدَأْنَاهُ لِلنَّاسِ أَعْقَلِيهِمْ مَعْرُوفُ عِنْدَ جَمِيعِ النَّاسِ كُلُّهُمَا⁽²⁵⁾

فالشاعر يُجل ويكرم شيخه، ويبين مكارم أخلاقه الطيبة، أنه ليس هناك شيخ أجمل من أخلاقه الحميدة، ويدعو النَّاسَ والآخرين إلى التمسك بتلك الأخلاق الطيبة وفي حق ذلك يقول المصطفى ﷺ: ((وخالق الناس بخلق حسنة)) وفي الحديث الآخر، فيما رواه البخاري ومسلم: ((أقرب ما يدخل الإنسان الجنة، تقوى الله وحسن الخلق)) ((رواه البخاري ومسلم)).

وقال أيضا في قصيدته من أخلاقها الحسنة الطيبة:

أُهْنِئْكَ يَا شَيْخَ وَسْرِي وَقُدُوتِي مُقَامُكَ هَذَا يُقْتَدَى لِدَوِ التَّقْوَى
وَتَهْدِي بِهِ قَوْمًا إِلَى خُلُقِ أَحْمَدَ حَبِيبِي حَبِيبِي اللَّهِ سِرِّي وَقُدُوتِي

إِلَى أَنْ قَالَ: وَأَنْتَ يَا شَيْخِي كَفَانِي هِدَايَةً بِأَخْلَاقِهِ كُلًّا وَكُلِّ فَيَقْتَدِي⁽²⁶⁾.

فالشيخ المهنأكان ذا صبرٍ وَهَمَةٍ عَالِيَةٍ، وَعَرَفَ بِسَمَاحَةٍ، وَتَقْوَى، وَحُلْمٍ، وَحِجَا، وَكَانَ ذَا بَصِيرَةٍ يُقْتَدَى بِهِ فِي أَخْلَاقِهِ الطَّيِّبَةِ، وَيُشَارُ إِلَيْهِ بِالْبَنَانِ فِي خِدْمَةِ الرِّجَالِ وَالْفَنَاءِ فِي دَائِرَةِ الْمُحَقِّقِينَ. وهذا السرُّ اِكْتَسَبَهُ لِمُودَتِهِ إِلَيْهِمْ وَطَلَبِ رِضَاهِهِمْ، حَتَّى طَابَ لَهُ الْبَقَاءُ عَلَى مُحَبَّتِهِمْ، بِأَنْ كُلٌّ مِنْهُمْ اِنْتَهَى بِذَوِي السَّعَادَةِ يَسْعَدُ!.

أما ماجاء، في معرض الرثاء فمثال قول علىُّ أحمد التماسي في رثائه لشيخ عثمان توما فوغن بدأ قائلا:

حَيْرُ الصَّنَائِعِ فِي الدُّنَا إِحْسَانُ وَالْبِرُّ أَمْرٌ مِنْ إِلَهِنَاؤُهُ

تَبْكِي الْعُيُونُ لِفَقْدِ شَيْخٍ وَجَدِنَا مَنْ كَانَ ذَا هِمَمٍ، وَحَسُنَ ثَوَابُهُ

أَكْرَمَ بِخُلُقِصِيَّتِهِ لَاحَ الْوَرَى زَيْنُ الْمَعَارِفِ خُلُقُهُ وَفَوَامُهُ

ثانياً:

الاتجاه الديني:

وفي هذه الظاهرة ينعطف الشعر الخُلقي منعطفا دينيا حين يعلى الشاعر الأخلاق الفاضلة الطَّيِّبه، ويمقت الرذيلة، صادراً عن القرآن الكريم والأحاديث الشريفة، أو بالتالي، أقوال العلماء الأجلاء؛ فيزن الأخلاق خيراً وشرها بقسطاس الإسلام المستقيم، ويوضح موقفه منها، وإليك قول الإمام الشافعي في ديوانه عن التشبه بالفضلاء والكرماء، لكي يتخلق الإنسان بأخلاقهم المحمودة تجاه الأخلاق الدِّينة.

فقال:

إِنْ لَمْ تَكُونُوا مِنْهُمْ فَتَشَبَّهُوا إِنَّا لَنَشَبُّهُ بِالْكَرَامِ فَلَاخٌ⁽²⁷⁾.

وقال الإمام الرازي في ديوانه:

وخير خصال المرء طاعة ربه ولاخير فيمن كان لله عاصياً

وكما ورد في قصيدة الدكتور أحمد شيخ مكولا البدوي النفاوي بعنوان:

"إنكسار العبد في بساط المعبود-سبحانه وتعالى"⁽²⁸⁾ فقال:

مِنْ نِعْمَةِ رَبِّي عَلَيْنَا جِيلِي برورنا في جنس طه ربي

فِي أَحْسَنِ التَّقْوِيمِ جِنْسَ الْبَشَرِ وآدمَ في صورته ربي

عَرَفْتُ أَنَّ كَوْنِي فِي صَفِّ أمة طه نعمة من ربي

أَوَّلُهَا خَيْرُ كَذَا الْوَاخِرِ أعنى به أمتّه يا ربي

أَبُوحَبَّوْحًا أَنْتَ جَوَاد كريمٌ أَنْتَ مُنْعَمِيَّارِبي

أَيَاذُكَ فِي الْكَلْبِ هَذَا حَقًّا يعرفه الدَّارِي وغير، ربي

وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةً لَا تُحْصَى ظاهرةً بَاطِنَةً يَا ربي

مَعْرِفَةُ اللَّهِ إِمَامُ الْكُلِّ	مَحَبَّة طَاهَتْلِيهَا رَبِّي
صُحْبَةُ أَخِيَارٍ وَأَوْلِيَاءِ	تَلْمِيْهُمَا حَمْدًا لَكُمْ يَا رَبِّي
أَبْصَرْتَنَا نَهْجًا إِلَيْكَ رَبِّي	سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ نَحْوَ رَبِّي
وَجَهْتَنَا نَحْوَ عِبَادِ اللَّهِ	أَحِبَائِهِ وَأَوْلِيَاءِ رَبِّي
نُحِبُهُمْ فِيكَ وَفِي الرَّسُولِ	بِحُسْنِ ظَنِّي نَحْوَهُمْ يَا رَبِّي
رَضِيَ الْإِلَهِ نَحْوَهُمْ رَجَائِي	صَلَاتُهُ عَلَى رَسُولِ رَبِّي ⁽²⁹⁾

يَا رَبَّنَا يَا رَبَّنَا يَا رَبِّي	يَا رَبَّنَا يَا رَبَّنَا يَا رَبِّي
أَبُوحُ لِحَضْرَتِكُمْ دَوَامًا	بِنِعْمَةٍ بَعْدَ الْكَثِيرِ رَبِّي
أَبُوحُ بِذُنْبِي إِلا هُتْمَحَوِّي	وَجُرْمِي لَيْتَنِي يَا رَبِّي
(أَحْمَدُ شَيْخُو) عَبْدُكَ ذَلِيلٌ	مَعْتَرِفٌ بِذَنْبِهِ يَا رَبِّي
إِنْ عَظُمَتْ مِنْهُ ذُنُوبُ رَبِّي	فَعَفْوُكَ أَعْظَمُ مِنْهَا رَبِّي
إِنْ كَثُرَتْ مِنْهُ عِيُوبُ رَبِّي	فَسِتْرُكَ أَكْثَرُ مِنْهَا رَبِّي
رَحْمَتُكَ تَسْبِقُ دَوْمًا الْغَضَبَ	وَلَا تُبَالِ إِنْ عَفَوْتَ رَبِّي
قَدْ ثَقُلْتُ عَلَيْهِ ذَا الْعَبْدِ	كَسَلًا وَعَجْزًا فُكَّهُ عَنْهُ رَبِّي
أَفْعَالُهُ قَبِيحَةٌ كَذَلِكَ	سِيرَتُهُ حَوْلُهُ عَنْهَا رَبِّي
نَلُهُ صَفَاءً بَعْدَ رَجْسٍ دَوْمًا	يَحُومَ فِي لَطْفِ رِضَاكُمْ رَبِّي
بِجَاهٍ مِنْ صَلَاتِكُمْ عَلَيْهِ	بِقَدْرِهِ وَأَلِهِ يَا رَبِّي

ثالثاً، الاتجاه السياسي:

وفي هذه الظاهرة، يكون هذا بمد الإصلاح الخلقى، والاجتماعى إلى الحقل السياسى بتيه السياسة إلى واجباتهم تجاه الرعية، ونجد ذلك عند قول الشاعر:

إن السَّياسَة في الإمارة كلّها أمرٌ من الأعلى الخلائق كلّها⁽³⁰⁾
تَحْتَاجُهَا كلُّ الشعوبِ أكتعاً وكذا الفقيرُ، وذو الغنى ومقرُّها
وعلى الرّئيسِ سبيلُ الإمارة رايّةً رأى التقى، وذو النُّقى ومكانها
لا بد من إصغاء أهلٍ كلّهم وكذا الصَّغيرُ كَبيرُهم بسياسِها
وعلى الرّئيسِ يَسوسُهم بِسياسةٍ خُلِقَ الجَميلُ قِوامِها في ثِقائِها
بِتصبُّرٍ وتَحْكُمٍ وبَصيرةٍ يعلو الرّئيسُ تطوُّراً لِقِيادِها
بِتَشاورٍ وتناصُحٍ وتغافُرٍ تعلو الإمارةُ أمانِها ومكانِها
وتَفْلُسُفُ الأعلامِ في آرائِهم وتَشاورُ وقياسِها بـوُفاقِها
وتَشَفِّقاً جِوائِها أنجَارِها دستورُها وكتابِها برضائِها

إلى قوله:

وكانَّها تَنُرى على قانونِها بـسياسةٍ معلومةٍ لشعوبِها
يا قومنا قوموا على مَنوالِها بـخُشوعٍ وعِدُولٍ تَعْلُو بِها⁽³⁰⁾

رابعاً، الاتجاه الإنساني:

وفي هذه الظاهرة، يمتاز هذا الإتجاه بنظرته الإنسانية في حوادث الدهر وأخلاق الناس، فيصور الشاعر بعض الحوادث والمشاهد بأسلوب يثير الحزن، ويهيج البكاء، ويكون مسرحاً لاستعراض قسوة الإنسان، وفضاظته، وغلظة

قلبه التي سلبته الرحمة والشفقة على الإنسان والحيوان على حد سواء وغيرها من تجارب الحياة اليومية في القيادة السياسية.

والجانب الخُلقي في الاتجاه أن الشاعر يعرض ما شاهده من مساوئ الناس في صورة بشعة، كي يتجنبها الآخرون، فهو دعوة إلى الخير بأسلوب كنائي. ويعد الدكتور أحمد نَدَامِيَاكِي فارس هذا الميدان، بل ولعله الشاعر الوحيد الذي ينهج هذا المنهج، حتى وقت كتابة هذه الأسطر.

وسأعرضُ نموذجًا للاستشهاد في هذا الصدد وهي قصيدةُ قالها الشاعر عيسى ألي أبوبكر حين شاهد ديكًا أشعل صاحبه النار في حيننا ليأكله، فقال:

يَا دِيكَ مَا ذَنْبُ الصَّبَّاحِ تَفْشِيهِ فِي الْفَجْرِ الْمَلَّاحِ؟

إلى قوله:

مَا ذَاكَ الْإِغْلَظَةُ فِي الْخَلْقِ لَيْسَ لَهَا بَرَّاحُ⁽³¹⁾

فالشاعر في هذه العجالة، يعكس لنا القيم الإسلامية في المتمثلة في رحمة الكبير للصغير لقول ﷺ (من لم يوقر كبيرنا، ولم يرحم صغيرنا فليس منا) [رواه البخاري ومسلم].

كذا إشفاق الناس على الحيوان، وفي حق ذلك يقول المصطفى ﷺ: (ليس منا من لا يكرم كبيرنا، ولا يرحم صغيرنا) وفي رواية: (إن الله كتب الإحسان على كل شيء...) [رواه البخاري].

الخاتمة

الحمد لله على التمام، والصلاة والسلام على النبي الأنام، وفي هذه المقالة يلاحظ خلال النماذج الشعرية بمناسباتها العديدة للاستشهاد على اتجاهات الشعر الخُلقي في البيئة البدوية، ولاية نيجرا، نيجيريا، وأن هؤلاء الشعراء يصعدون أشعارهم عن العقيدة الإسلامية وتعاليمها، ولا شك أنهم شربوا من معين عقيدتها ونشئوا في أحضانها، وسلکوا مسالك أهلها على تناولها، وأورثوها من أصالة أغصانها، لما وهب الله لهم من علوم جمّة ومواهب الدينية، من شعرها ونثرها وقصصها، وخطبها وغيرها من العلوم، وإن دل هذا على شيء، فإنها يدل على همّهم الأدبية التي جعل الناس يشاققون إليه، وكذا أحبة العلم والطلبة الجامعية، ويشيرون إليهم بالبنان، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

ويستبعد أن يكونوا قد تأثروا بالمذهب اليوناني القديم، كما كان الفضل دائماً للمتقدم، وذلك هو المماثل في نظرة (أفلاطون) وغيره من رجال الفلسفة، لأنهم لم يطلعوا على أعمال الشعارين، فما صادف من أشعارهم هؤلاء فمن باب توارد الأفكار، وعلى هذا، فقد تتسم مصادر أشعارهم الخُلقية في أربعة خصائل وهي:-

1- القرآن الكريم.

2- الأحاديث الشريفة.

3- أقوال الأئمة والعلماء المسلمين.

4- شعر الأدباء الإسلاميين، وهؤلاء كانوا يطوفون حول الخصائل التي تصدر من المصادر الأربعة التيمن شأنها: التقوى والصلاح بين المسلمين والورع، والكرم، والسماحة، والعدالة، والعزيمة والحلم، والجهاد، وطلب العلم، ونشره بين الأمة، ونقاء السريرة، والصراحة في القول وغيرها، وكما يشجّبون ما نفرت عنها المصادر مثال الفساد، والظلم، والزنا، والدعارة والرقصات، والأغاني الخُلقية والعنف، وتفكك الأراء وغيرها.

ويلاحظ كذلك صدق عاطفة الشعراء، لأن أشعارهم صدى للبيئة التي يعيشون فيها، والمناهل التي يستقون منها علومهم وثقافتهم.

وأخيراً: يلاحظ أن للشعر العربي في المجتمع بلاد توبي، وخاصةً مدينة بَدَا دورًا لا يمكن إنكاره في نشر الأخلاق الفاضلة، و قمع الفساد، والشذوذ الخُلقي، ولاشك أن ذلك كله قد أسهم مباشرة، أو غير مباشرة في سيادة الأمن والأمان في مدينة بَدَا، وبالتالي في ولاية نيجاً عامة.

وحاولت المقالة سبر القيم الخُلقية في الشعر الحديث في مدينة بَدَا، فتكلّمتُ عن: وظيفة الشعر العريعامة، وعن نشأة الشاعر النيجيري وتكوينه، ثم عن: وظيفته في المجتمع النيجيري خاصةً. وبعد ذلك تعرضت لا اتجاهات الشعر الخُلقي في مدينة بَدَا، مُستشهدةً ببعض النماذج، وانتهت المقالة إلى أن للشعر العربي دوراً كبيراً في سيادة الأمن والأمان، وفي الإصلاح الاجتماعي في المدينة البدوية وما جاورها، في عصر تدهور الأخلاق وأنجلال السلوك هذا، مما يدل على سيادة مذهب الفن للمجتمع، والأدب الإسلامي. والله المستعان!

- 1- مدينة بدا: تقع في شمال نيجيريا، وهى عاصمته بلاد توبي حاليا وإماراتها، فكانت حاليا، منطقتة أوحكومة محلية تحت ولاية نيجا، شمال نيجيريا.
- 2- كلمة عج: (معجم الوسيط) رجع عن الأمر ثم انصرف منه، ويقال: ماعاج بكلام فلان ما التفت إليه ولا اكترث له فهكذا.... ص، 223.
- 3- أبوبكر يوسف عبدالله، (الدكتور): شعر الدعوات والتوسولات في بلاد توبي بالقرن العشرين. ص، 44، بعث تكميلي مقدم إلى كلية الدراسات العليا، شعبة اللغة العربية، بجامعة نصر، كيفي، عام: 2013م.
- 4- د. محمد غنيمي هلال: دراسات ونماذج في مذاهب الشعر ونقده بالقاهرة، ص، 23، رقم الإيداع: 2539.
- 5- دكتور مسعود نَدَامِيَّالْ لَأَلِي: القيم الخلقية في الشعر العربي المعاصر في مدينة أغى، ولاية نيجا بعام، 1427/2006 هـ. مطبوعة في ولاية صوكوتو.
- 6- آدم، عبد الله الإلورى (الشيخ): نسيم الصبا في أخبار الإسلام وعلماء بلاد يوروبا، مكتبه وهبة، القاهرة، (ط-3) 1995م.
- 7- محمد بن مرسى الحارثى (الدكتور): الإتجاه الأخلاقي في النقد العربي حتى نهاية القرن السابع الهجرى، دار المدنى، للصناعة والنشر والتوزيع، جدة، 1409 هـ/ 1989، ص، 12.
- 8- محمد غنيمى هلال: دراسات ونماذج في مذاهب الشعر ونقده.
- 9- محمد غنيمى هلال، (الدكتور): دراسات ونماذج في مذاهب الشعر ونقده ص، (23-25) نهضة مصر، للطباعة والنشر والتوزيع القاهرة رقم الإبداع: 2039 ما ذكر التاريخ.
- 10- القاضى فاروق إمام: الشعر العربي في إمارات توبي، ص: 38 2006 لم يطبع حتى وفاته.
- 11- الحاج أحمد ندامن البدوي: مدينة بدا وعلمائها في بلاد توبي، ص، 63، للطبعة الأولى، 1993، مطبعة النور، زاريا لاية كدونا.
- 12- فاروق عمر إمام (القاضى): الشعر العربي في إمارات توبي، ص، 93، 2006م.
- 13- أبوبكر يوسف عبدالله (الدكتور): شعر الدعوات والتوسلات في بلاد توبي بالقرن العشرين. ص، 45 مطبوع في مدينة إلورن - 2013م
- 14- المرجع السابق، ص، 41.

- 15- المرجع السابق، ص، 41-43
- 16- المرجع السابق، 43-44
- 17- د. على راجي كطثناء: الشعر التعليمي عند الشيخ وزير محمد بدا، 2017 ص، 35-36 مطبوعة في السودان.
- 18- الشيخ محمد عيسى كُتَيْغِي: الهاشمية في مدح خير البرية. ص، 15، 2005م مطبوعة في منا.
- 19- الوزير محمد بدا: الإتحاف بنظم الإسعاف في سيرة النبي المنعوت في سورة الأعراف. ص، عندى النسخة المخطوطة للقصيد. من مكتبة الحاج حسن باب إنا قَوْغُنْ بِدَا ولاية نيجيا.
- 20- الشيخ محمد عيسى كُتَيْغِي: الهاشمية في مدح خير البرية، ص، 40، الطبعة الأولى: 2005م.
- 21- المرجع السابق، ص، 41
- 22- أحمد الهاشمي، ديوان الإمام الرازي، ص، 111 - 1438م، الطبعة الثانية، بيروت لبنان.
- 23- أحمد شيخ مَكْوَلَا البِدَوِي: إنكسار العبد في بساط المعبود، ص، (3-8) 1443هـ/ 2010م.
- 24- الشيخ إبراهيم إنياس: سير القلب في ديوان الست، الطبعة - الخامسة - 2021م.
- 25- الدكتور أحمد ندامياكي: الشعر السياسي الموجهة إلى رؤساء السياسيين في جمهورية نيجيريا. ص، 27. 1993م.
- 26- عيسى كُتَيْغِي (الشيخ): قصيدة المحب إلى حضرة المحبوب، ص، 24.
- 27- الألوسي الأمام: تفسير روح المعاني: جزء الثاني ص، 230.
- 28- أحمد مَكْوَلَا بَدَوِي (الدكتور): إنكسار العبد في بساط المعبود، ص، 2-8، 2010م
- 29- المرجع السابق 3-8
- 30- د. ديوان نَدَامِيَاك: في مدح الأحاب، ص، 233، 1996م.